الأعظم فأبعد من متناول أبصارنا وأفكارنا. ويا ويل من بلغ بهم الغرور حدّاً أصبحوا عنده لا يلقون بالاً إلى حركة غير حركتهم وإرادة غير إرادتهم. أولئك هم العميان وإن يكن في عيونهم نور. وأولئك هم المقعدون وإن سابقت أرجلهم الريح.

والآن إذا حدّثتكم عن شعوري القويّ، العميق، الذي لازمني منذ حداثتي بأن هنالك يداً خفيّة تسند يدي، وفكراً مستتراً يلهم فكري، وإرادة متحجّبة تدعم إرادتي، فرجائي ألّا تسيئوا فهمي. ورجائي أن تغفروا لي أمثلة بسيطة أسوقها إليكم من حياتي البسيطة. ولا شكّ عندي أن في حياتكم وحياة كلّ إنسان أمثلة تفوقها رونقاً ومعنى. وأنا كلّما التفتّ إلى الوراء رأيت حياتي سلسلة مُحكمة الحبك لو شئتُ أن أُسقط منها حلقة واحدة لما استطعت. وليس لي من فضل في حبكها سوى فضل الشاهد وفضل المساعد:

ولدت في قرية جبليّة من لبنان تدعى بسكنتا، ومن أبوين أرثوذكسيّين يجهلان القراءة والكتابة، ويعيشان مع الأرض ومنها. وأنا الثالث بين خمسة إخوة وأخت. فمن ذا الذي وجّه ولادتي فكان منها أن عشت ما عشت من السنين ولتلك الحفنة من الآدميين، ولتلك الزاوية الصغيرة في سفح